

المحاضرة الأولى: مفهوم السيرة

مفهوم السيرة لغة واصطلاحاً:

يعد مفهوم السيرة جنس أدبي عام يمد أواصر الاتصال بفضاء التأليف والكتابة وهو جنس أدبي ثري وذلك لتفرده بمميزات شكلية وأخرى مضمونية جعلته يتميز عن باقي الأنواع الأدبية الأخرى.

السيرة في اللغة:

جاء في لسان العرب أن لفظة السيرة هي السير: "الذهاب، سار يسير سيرا ومسيرا وتسياراً ومسيرة وسيرورة ومعنى هذا سير وذهاب وقال حذيفة تسائر عنه الغضب أي سار وزال، ويقال سار القوم يسرون سيرا ومسيرا إذ امتد بهم السير في جهة توجهوا له"¹ معنى هذا أن السيرة هي السير والذهاب وقد أجمعت المعاجم اللغوية على هذا المعنى الوارد **السيرة اصطلاحاً:** قبل التطرق الى ضبط مصطلح السيرة نقول أنها فن من الفنون النثرية التي كان لها حضور بارز ابتكرها الأدباء لحاجتهم الى توثيق بعض المآثر والمناقب لأهم الشخصيات التي ذاع صيتها في فترة صدر الإسلام من أجل تخليد تاريخ الأمة الإسلامية الذي لا يستقيم إلا برجالها العظام الذين غيروا مجرى الإنسانية بترك أثرهم العظيم في ترويض سلوكيات الناس وصقل أفكارهم واخرجها من عبودية الظلام الى وجه النور في ظل تعاليم الدين الإسلام.

وبالتالي جاء مفهوم السيرة في الاصطلاح بأنها نوع من الأدب يجمع التحري التاريخي والامتناع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصية"⁽²⁾. وبالتالي السيرة هي تسليط الضوء على حياة شخصية عظيمة بحيث يتناول فيها الأديب: الحياة الشخصية من مولد، ونشأة ومناقب وآثار الى غاية وفاة تلك الشخصية بحيث يلتزم فيها الأديب بالدقة في تحري المعلومات لأن ذلك سيعيد بمثابة سجل تاريخي بالدرجة الأولى يحفظ حضارة أمة بأكملها.

مميزات السيرة:

ومصفي الحديث أن السيرة جنس أدبي لها مميزات وقد عددها فليب لوجون فيما يلي:
"السيرة" هي ذلك السرد الذي قد يطول أو يقصر بحسب معلومات الشخصية التي تدور حولها السيرة بمعنى :
أ- تاريخ الانسان القديم الذي تمت روايته بصفة عامة من قبل شخص آخر ويكون هو الأكثر شيوعاً بين الناس.

¹ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان ج4 مادة سير ص 389.
²- أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، ط3، 1980، ص547.

ب- تاريخ انسان غامض مروي شفاهه من قبل الشخص نفسه الى شخص آخر من أجل تولي دراسته.

ج- تاريخ إنسان مروي من طرفه لشخص أو أشخاص يساعده، عن طريق سماعهم، على توجيهه في حياته (السيرة في تشكّلها) (3).

وانطلقت لفظة السيرة من حيث الاستعمال والتداول عند كتابة سيرة الرسول صل الله عليه وسلم بصورة ضيقة ومحتشمة لكن فيما بعد توسع مجالها في دراسة سير لأشخاص ليس فقط في مجال الدين بل في مجالات أخرى كسيرة الظاهر ببيرس، وصلاح الدين الأيوبي و ابن طولون.

خلاصة: جل المعاجم اللغوية وبعض الكتب في مجال التخصص أجمعت على مفهوم مشترك للسيرة مع اختلاف مدلول استعمالها الذي قد يقصر فيكون ضيق وقد يطول حسب طبيعة الشخصية، كما أن السيرة نوع مستقل من الأدب لأنه يعتمد آليتي السرد في القص والحكي، كما أن للسيرة عناصر مهمة تعد بمثابة ركائز تقوم عليها وهي (الذات، التاريخ، الفن)، بالإضافة الى انتقال معنى السيرة من العام إلى الخاص.

ملاحظة: يوجد مصطلح السيرة والذي يتشابه ويتداخل مع مصطلح الترجمة وهو ما سنثيره في العنصر الموالي:

مفهوم الترجمة: وهو مصطلح حديث اعتمدته المعاجم الحديثة، وبعد عملية البحث الحثيث في مضان المعاجم اللغوية من قبل أحمد آل مربع: «الذي بين لنا أن أصل هذه الكلمة مولدة استخدمت بعد عصر الرواية، وأنها كلمة وافدة الى اللغة العربية عن طريق الآرامية وأبرز من استخدم مصطلح الترجمة هو ياقوت الحموي في معجمه في أوائل القرن السابع الهجري بهذا المعنى» (4).

فالسيرة هو السرد المطول والدقيق عن حياة الفرد ومواقفه وغيرها، والترجمة عكس ذلك سرد مقتضب عن حياة الفرد، يقتصر فيها الأديب بذكر النقاط المهمة فقط من حياة المترجم له وقسم النقاد السيرة الى صنفين ذاتية وغيرية فأما:

أ: السيرة الذاتية:

في ظل التباين الذي شهدته تعريفات هذه السيرة الذاتية حيث تجد الباحث في هذا المجال في شتات فكري وحيرة بحثية عن الاختيار الموفق للتعريف الأصوب

و نجد الباحث محمد معتصم يقول في تعريف السيرة الذاتية: "الذي يظهر بإيجابية إلى التغيير الذي تعرّض له الخطاب السير ذاتي عبر التاريخ إذ يرى فيه تعبيراً عن قدمه وأصالته وأنه رافق الأمم والشعوب منذ بداية التاريخ، منذ لحظة تشكّل الوعي رغم أن السيرة لم تكن

3- ينظر: فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص10.

4- أحمد بن علي آل مربع: مرجع سابق، ص25-26.

في هذه المراحل الموعلة في القدم فنية وذات بعد جمالي محض (5) وهذا التعريف مفاده أن السيرة الذاتية مرت بمراحل أولها مرحلة تشكل الوعي بمعنى تأكيد على أن هذا الفن قديم بسبب مرافقته للأمم الماضية كال يونان والرومان بالرغم من جفاف وافتقار البعد الجمالي وصفوة القول أن هذه المراحل الزمنية المتذبذبة التي مرت بها السيرة قد أدت الى صعوبة في ضبط المصطلح -مقاربة الحد والمفهوم:

يتفق الدارسون على أن مصطلح السيرة الذاتية (L'autobiography) ظهر سنة 1866 حسب معجم لاروس للغة الفرنسية، وهو يعني فرد ما مكتوبة من طرفه (6). وأما عن التعريف الراجح لدى أغلب النقاد فهي: " أن يكتب الكاتب حياته بنفسه ابتداءً من تاريخ ميلاده وما مرّ به من حوادث وتغييرات ووقائع انتهاء إلى اللحظة التي يعيشها ويكتب فيها هذه السيرة"، وأما ما اقترحه محمد عبد الغني حسن كتعريف للترجمة الذاتية قائلاً: "هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضؤل تبعاً لأهميته" (7)

السيرة الغيرية: Biographie يتحدث فيها الأديب عن شخص آخر ، فيتناول حياته بالترجمة المفصلة، ويقدمها لجمهور القراء واضحة مكشوفة، بمحاسنها و عيوبها ، بإجاباتها و سلبياتها

ما هي أوجه الاختلاف بين الترجمة الذاتية و السيرة الذاتية؟

أهم أوجه التداخل والتشابه والاتفاق بين تعريفى السيرة الذاتية والترجمة الذاتية:

أ_ يرى إحسان عباس أن الترجمة الذاتية: "ليست حديثاً ساذجاً عن النفس، ولا هي تدوين للمفاخر والمآثر، لأنّ ذلك يؤدّي إلى النفور منها ويصدم الإحساس الذوقي بالصدق في الخبر لدى الناس (8).

ب ويرى عبد العزيز شرف أن السيرة الذاتية «هي تعبير عن أهم مظاهر الحياة الشخصية لكاتبها وهي حياة لا ينفصل فيها الداخل عن الخارج؛ ذلك أنّها في صميمها تركّز

5-محمد معتصم: خطاب الذات في الأدب العربي، مطبعة الأمنية، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2007، ص14.

6-فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر وتق: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص10.

7-محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، ص23.

8-إحسان عباس: فن السيرة، ص98-99.

وإشعاع، انفصال واتصال، انطواء على الذات وافتراق عن الذات... سيرة إنسان من الداخل وهو في تواصل مع الخارج» (9).

ج_ ويعتبر عز الدين إسماعيل قائلاً: «ترجمة الحياة الشخصية وذلك عندما يكتب لنا الكاتب ترجمة حياته الخاصة. وهي عندئذ ذاتية» (10).

استخرج أوجه الاختلاف بين الترجمة الذاتية والسيرة الذاتية من خلال هذه التعاريف؟

النقاد لا يفرقون بين مصطلحي السيرة الذاتية والترجمة الذاتية فكلاهما له معنى واحد

الحصة التطبيقية الثانية: سيرة ابن حزم الأندلسي في طوق الحمامة وتطبيق الآليات الإجرائية لنظرية فيليب لوجون عليها

وفي سنة 1917 وضع فيليب لوجون تعريف لهذا النوع الأدبي في كتابه "ميثاق السيرة الذاتية". قائلاً: «وبعد تعديل طفيف سيصبح حد السيرة الذاتية كالآتي: هي حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركّز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة» (11).

ففي هذا اللون من الأدب يمارس الكاتب عملية الاسترجاع بشكل مكثف فنراه يبحر بذاكرته عائداً من الزمن الحاضر الذي يشهد فعل الحكي بالكتابة الى الزمن الماضي الذي شهد مختلف التجارب التي خلفت في نفسه عظيم الأثر ويعتبر هذا التعريف من بين الحدود التي اتّصفت بالشمولية وبعض التفصيل إذ يعرض صاحبه عناصر تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:

1-تشكل اللغة:

أ-حكي.

ب-نثري.

2-الموضوع المطروق: حياة فردية، وتاريخ شخصية معيّنة.

3-وضعية المؤلف: تطابق المؤلف (الذي يحمل إلى شخصية واقعية) والسارد.

4-وضعية السارد:

أ-تطابق السارد.

ب-منظور استعادي للحكي.

9-عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، سلسلة أدبيات، ط1، 1992، الشركة العالمية للنشر، لنجمان، ص18.

10-عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط7، 1978، ص255.

11- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص22.

وبالنظر إلى هذه المواصفات والشروط فإنّ السيرة الذاتية عند "لوجون" هي كل عمل يجمع في الوقت نفسه الشروط المشار إليها وفي كل صنف من هذه الأصناف في حين لا تجمع الأنواع المتشابهة للسيرة الذاتية كل هذه الشروط.⁽¹²⁾

وهكذا تخرج من إطار السيرة الذاتية الأنواع الأدبية المشابهة لها لانتفاء شرط من هذه الشروط فيها، ويمكن أن نذكر هذه الأنواع المقاربة حسب لائحة الشروط المذكورة سابقاً كالآتي:

* المذكرات: (2)

* السيرة: (4)

* رواية السيرة الذاتية: (3)

* قصيدة السيرة الذاتية: (1ب)

* اليوميات الخاصة: (4ب)

* الرسم الذاتي أو المقالة: (1ب و4ب)⁽¹³⁾.

ولا يكتفي فيليب لوجون بتقديم هذه التحديدات، بل يصنّف كل الحالات الممكنة اعتماداً على معيارين هما:

-علاقة اسم الشخصية واسم المؤلف.

-طبيعة الميثاق المنجز من طرف المؤلف.

وبذلك تنتج ثلاث وضعيات ممكنة بالنسبة لكل من هذين المعيارين أي الشخصية والميثاق المقصود به المحكي.

فالشخصية إمّا:

1-لها اسم مختلف عن اسم المؤلف.

2-ليس لها اسم.

3-لها نفس المؤلف نفسه.

والميثاق إمّا:

1-روائي.

2-غائب

3-سيرة ذاتية.

وبجمع هذين المعيارين بوضعياتهما المختلفة يمكن الحصول على تسع تركيبات يذكرها فيليب لوجون في الجدول الآتي⁽¹⁴⁾:

اسم المؤلف	0 =	# اسم المؤلف	اسم الشخصية الميثاق
2 أ / رواية	1 أ / رواية	روائي	
3 أ / سيرة ذاتية	2 ب / رواية	1 ب / رواية	0 =

12-المرجع نفسه، ص22-23.

13- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص23.

14-المرجع نفسه، ص41.

3 ب/ سيرة ذاتية	2 ج/ سيرة ذاتية	السيرة الذاتية
<p>والجدير بالذكر أنّ مفهوم لوجون للسيرة الذاتية رغم ما مرّ به من تعديلات، انتهى بعد جدل فلسفي إلاّ أنّها ليست مجالاً محدوداً ولا ضيقاً، بل هي فن منفتح على مجالات عدّة؛ فكلّ نص يبدو أنّ مؤلّفه يعبر فيه عن حياته وإحساساته، مهما كانت طبيعة العقد المقترح من طرف المؤلّف-سواء أكان العمل رواية أو قصيدة أم مقالة فلسفية-فهو سيرة ذاتية ما دام قصد فيه الكتاب بشكل ضمنى أو صريح إلى رواية حياته أو شيء منها⁽¹⁵⁾ وبذلك تصبح السيرة الذاتية عند لوجون "نوعاً عاماً قابلاً لاجتضان عدّة نصوص"⁽¹⁶⁾.</p>		

15- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص10-11.

16-المرجع نفسه، ص11.